

(هكذا يُدْجَزُ لكَ مكانٌ في سماءِ النجوم)

كقياسِ منطقِ صوريٍّ لا زَفْعَ فيه

كنتائجِه المضمَّنة في المقدمات

كضالةٍ أطروحاتِه في الكثيرِ منَ مطالبِه

كالتواءاتِه التي تجعلُ السطحيَّ عميقاً كما يُخَيِّلُ إليك

لتكونَ أنتَ ضحيةً خدعةٍ شكلانيَّةٍ المفرطة

تظنُّ أنَّ فكركَ صارَ معصوماً منَ الخطأِ بفضلِها

صارَ صائباً لمجرِّدِ طائِدٍ طائدتِكَ بها

بمطالبِها التي لَمْ تكنْ سوى وليدةٍ سياقِ اللامعقول

لم تكنْ سوى حاشيةٍ على متونِ حُسْبانيَّةٍ تحاولُ ترشيدها

ولذلكَ هي تحملُ شيئاً منَ سذاجتِها

هكذا هو طبعُ السياقِ الذي يكونُ فاعلاً مؤثِّراً في الغالب

مثلاً أثَّرَ عليكَ بعضُ النظمِ الشعريِّ الذي لَمْ يتجاوزِ السطح

أَنْزَرَتْ عَلَيْكَ الْمُبَاشِرَةَ الْعُورَاءُ لَدَى بَعْضِ الْمَحْسُوبِينَ عَلَى الشَّعْرَاءِ

الْمُبَاشِرَةُ الْعُورَاءُ الْمَكْتَفِيَةُ بِإِبْلَغِيَّاتِهَا

بِدَلَالَتِهَا الِاسْتِعْمَالِيَّةِ الْأُولَى الَّتِي لَا تَتَعَدَّى أَهَهَا

بِالْمُبَاشِرَةِ الْخَطَابِيَّةِ الْعُورَاءِ كُنْتَ مَهْمُومًا

حَتَّى رَحْتَ تَنْتَجِ نَصًّا يَشْمُزُّ مِنْهُ الذُّوقُ

نَصًّا يَتَقَصَّدُ الْغَمُوضَ غَيْرَ الْعَفْوِيِّ غَيْرَ الْمُنتَجِ

بِهِ تَطْنُ أَنْزَلَكَ فَرَرْتَ مِنْ عَيْبِ الْمُبَاشِرَةِ الْعُورَاءِ

إِلَّا أَنْزَلَكَ فَرَرْتَ مِنْ شَيْءٍ وَقَعْتَ فِيهِ

فَالْمُبَاشِرَةُ الْعُورَاءُ وَالْغَمُوضُ كِلَاهُمَا يَلْتَقِيَانِ فِي مَنْطِقَةِ الْقُبْحِ

كِلَاهُمَا يَجْعَلَانِ النَّصَّ مَرْذُولًا لَا لِسَانَ دَهْرٍ يُنْشِدُهُ أَوْ يَرْوِيهِ

فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْغَمُوضِ غَيْرِ الْمُنْتَجِ وَبَيْنَ الْخَطَابِيَّةِ الضَّلَّةِ

هُمَا مِنْ سِنْدِجِ الْمُبَاشِرَةِ الْعُورَاءِ لَوْ تَأَمَّسْتَ

فَأَنْتَ مَبَاشِرَتُكَ فِي إِفْهَامِ الْمُتَلَقِّ بِنَوْعِ مَبَاشِرَتِكَ

بِجَعْلِهِ يَسْتَشْعِرُ غَمُوضَ نَصِّكَ

يَفْهَمُ أَنْ نَصَّكَ لَا هَدَفَ لَهُ سِوَى افْتِعَالِ الْغَمُوضِ

يَفْهَمُ أَنْ نَصَّكَ زَمْهَرِيرُ غَمُوضٍ ، وَقَدْ فَهَمَ ذَلِكَ مِنْكَ

فَهَمَ حَقِيقَةَ أَسْلُوبِكَ بِشَكْلِ مَبَاشِرٍ مِنْ دُونِ تَدْخُّلٍ مِنْ أَحَدٍ

مِنْ دُونِ تَصْنِيفٍ أَوْ تَوْصِيفٍ مِنَ الْخَارِجِ ، مِنْ دُونِ إِشَارَةٍ

هَذَا هُوَ عِمَادُ وَطِيفَةِ غَمُوضِ نَصِّكَ

هَذَا هُوَ لَوْ حَاوَلْتَ فَهَمَ نَفْسِكَ

وَأَمَّا مَنْ نَأَوَّاتَهُ فَقَدْ كَانَ الْإِبْلَاجُ نَوْعَ مَبَاشَرَتِهِ لَيْسَ غَيْرَ

أَرَأَيْتَ كَيْفَ صُرْتَ حَاشِيَةً عَلَى مَتْنٍ مَنْ رَدَدَتْ عَلَيْهِ

مِثْلَمَا كَانَ الْمُنْطَلِقُ الصُّورِيُّ حَاشِيَةً عَلَى مَتْنٍ حُسْبَانِيَّةٍ كَانَ لَهَا طَنِينٌ وَرَنِينٌ

هَكَذَا أَنْتَ تُقَابِلُ نَصًّا مِيَّتًا بِنَصِّكَ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ مَوْتًا مِنْهُ

تَرَدُّ الْعَيْبَ بِالْعَيْبِ وَتَحْسِبُ أَنْكَ بَلَغْتَ أَوْجَ الْإِبْدَاعِ

تَدْفَعُكَ الْمَرَاهِقَةُ الْمَتَأَخِّرَةُ أَوْ الْمُسْتَمَحَبَةُ إِلَى إِلْقَاءِ نَفْسِكَ فِي وَحْلِ رَدُودِ أَفْعَالٍ

رَدُودِ أَفْعَالٍ طَائِشَةٍ تُنْهِيكُ

مَا هَكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الْإِبِلِ

كُنْ حَازِقًا حَتَّى تَصِلَ

حَتَّى يَكُونَ نَصُّكَ مِمَّا يُنْشَدُهُ الدَّهْرُ وَمِمَّا يَرْوِيهِ

ليكنِ المعنى الدلاليُّ الأوَّلُ قارئاً في نصِّك

وليكنْ حاضناً لدلالاتِ سيِّئِـالة

فبالمعنى الأوَّلِ نشوةٌ عامِّـةٌ تأسرُ القلوبَ كُلَّـها

تشدُّ المتلقينَ إليه على اختلافاتِ مستوياتهم

وبدلالاته الأخرى يحيا نصُّك حياةً ثانية

يسلبُ النومَ منْ عيونِ الساهرينَ عليه

يُمتعُهم مثلما أمتعَ المعنى الأوَّلُ الجميعَ

هكذا يخلدُ نصُّك، هكذا يبقى، هكذا يدوم

هكذا يُخزُّ لك مكانٌ في سماءِ النجوم.